النموذج

قصة . لوحة بقلم نواف ابو الهيجاء

« التكوين »

فتح عينيه : رعب . وسط غابة من الشجيرات والاشواك كان مجبرا ان يعدو ، الهمسات من حوله : رعب . العيون الضائعة في زحمة الليل خوف من شيء لا يدركه . قرصوه ، مرات عديدة ، خشية ان تثقل جفونه فينام . يفتح عينيه على صرخات . حاول ان يتعلق بصدر أمه فسمع ضربات قلبها الضارية . ثم ، فجأة ، جار صوت في الليل :

ـ انبطحوا يا ناس !

آنئذ أكل من التراب حتى شبع . منذ تلك اللحظة لم تذهب رائحة ذلك التراب من خياشيمه ، ولا استطاع ان يلثم ترابا طعمه كطعم ذلك التراب الاحمر .

« الخطوط »

قالوا له : لا تدخل « السرداب » فهو مسكون بالجن وبالعفاريت !
وقالوا له : أنت غريب ، فكن ، اذن ، أديبا !

وهمسوا في اذنيه : اياك والاقتراب من الاسلاك الشائكة ، ففيها يكمن الموت متخذا اشكالا وصورا متعددة !

استفاق ليلة من نومه على عاصفة . أخرجوه من الخيمة المنهارة . نقلته سيارة مع حشد من الناس الى مكان بعيد . سمحوا له ، هذه المرة ، ان ينام ملء جفونه . ظلت صورة السرداب المعتم تطارده . في « الكمب » الجديد لعب حتى ملأ ضجيجه الصحراء المحيطة . اجتاز ، مع رفاق له ، الاسلاك الشائكة التي كانت تسور « الكمب » مرات عديدة . ومن البرك القريبة التي خلفتها الامطار سرقوا الملح . كانوا يحسون بنشوة غريبة والحراس يطاردونهم قبل ان يستطيعوا دخول « الكمب » من جديد حاملين معهم الملح .

أستقبله والده غاضبا :

ـ لم هربت ؟!

ـ لكي أجلب الملح !

ـ أنت مجنون أيها الطفل ؟! الكلاب ، والاسلاك الشائكة ، والحراس والصحراء والماء ! كيف تجتاز كل هذه العقبات ونحن في بلاد الغربة ؟!

ـ أنا جائع !

ـ اطعميه شوربة عدس يا امرأة .

زعق الطفل :

ـ كل يوم شوربة ؟!

« الصورة »

الرياح تعصف . قصف الرعد يزرع الهلع في صدره . بحلق في السماء فلم تقع عيناه على النجوم . السحاب الاسود اندفع من الغرب اثناء النهار ، حجب الشمس ، وفتح كوة الرياح المجنونة . هرع الناس الى غرفهم الملتصقة بعضها ببعض كالتوائم . سمع صوت اصطكاك اسنان أمه . غمرته دعوتها له بالقرفصة والابتهال الى الله فرقا . وفي لحظات تكومت في الغرفة اليتيمة اجساد سوداء كالخرق البالية . كان يهتز كيانه وهو يسمع الجميع :

ـ يا لطيف ، اجعل البلى خفيف !

طاردته صاعقة عنيفة من الافكار المبهمة . توقف مرات عديدة . نظر الى الخلف . الاسلاك الشائكة تسود « الكمب » ، و « الباراكس » قطعة سوداء تئن تحت ضربات المطر العاصف ، والرياح تصفر بعنف جهنمي . ارتعدت فرائصه . ولعن ، في سره ، نفسه . لماذا هذا الخوف ؟! حين شق الباب ليتطلع مرة اخرى الى السماء داهمته زوبعة ريح بارد ولم ير النجوم ولا القمر .

الاصوات تطن :

ـ يا لطيف ، اجعل البلى خفيف !

وتساءل في سره :

ـ من هو اللطيف ، ثم ما هو البلاء القادم ؟

حين تطلع ثانية الى الكتل السوداء اصطدم بالعيون الشاخصة الى الاعلى . لم يكن ابوه في البيت ـ الغرفة . سأل امه :

ـ أين أبي ؟

ـ في المدينة يا بني ! هيا ابتهل الى الله فهو يسمع اصوات الاطفال !

وعادت تسمر عينيها في سماء الغرفة الملطخة بالسخام لتبتهل بصوت متقطع مرتعش :

ـ يا لطيف ، اجعل البلى خفيف !

« الالوان »

ـ سمكة ، مأكولة مذمومة ، قولي ان شاءالله !

ـ ان شاء الله !

ـ تأتيك رسالة من مكان بعيد فيها اخبار سارة ، قولي ان شاء الله !

ـ ان شاء الله !

ـ امرأة طويلة بدينة ، ترتدي ثوبا خشنا بلون الليل ، تحسدك . عين الحسود فيها عود ، قولي ان شاء الله !

ـ ان شاء الله !

ـ بعد سبعة فصول ، أيام ، إسابيع ، اشهر ، اعوام ، لست

ادري بالضبط ، والله هو العلام ، سوف تسافرين الـى بلاد تحبينها حبا جما ، قولي ان شاء الله !

ـ ان شاء الله يا رب ، ان شاء الله !

ـ هناك ارى الآن امامي جمعا محتشدا . حشد خير باذن الله . الجميع يضحكـون فرحين . قريب لك ، قطعـة من كبدك ، يتزوج بشابة جميلة ببيضاء كالقطن في عين الشمس . خيرا كثيرا قولي ان شاء الله !

ـ ان شاء الله !

ـ أم ـ أم ـ ! لطخة بعيدة ، بعيدة . اللهم خفف المصائب ، وابعد عنا البلاء يا رب العالمين . قولي ان شاء الله !

ـ ان شاء الله !

التفت صوب امه . رمى الكتاب من يده ثم خرج من الغرفة . الشمس في كبد السماء حادة . الهواء ساخن جاف والرمال بحر من الجمر .

((ضربات الريشة النهائية))

سمع أصواتا في السرداب . الذين سمعوها هربوا . اقتحمـه ودخل : رأى قطعة سوداء تدحرج علبة من تنك على الارضية الصلبة . لما رأته الهرة تملكها الفزع وجرت هاربة من بين قدميه ، ثم اختفت . ضحك من قلبه .

الاسلاك الشائكة والحراس ، الكلاب والماء ، الملـح والصحراء ، كشربة الماء بالنسبة له . لم يكن وحيدا في كل مرة يخترق فيها حاجز اسلاك الفولاذ . دس سما في قطع الخبز للكلاب . اكلتهـا . تدلت ألسنتها الحمراء ، ولم تعد تلهث . كانوا يتوارون في العتمة ، بعيـدا عن أعين الحراس ... يتسللون .

الماء يغمر كاحليه والصحراء تنتهي حدودهـا بغابـات مـن اشجار البلوط والصنوبر والسرو والسنديان . حين يدخل الغابة تداهمـه روائح الصعتر المرمية ، ويدوس على أعواد البـلان . يجلس الآن تحت شجرة صنوبر ضخمة . رائحة الصمغ تملأ عليه كيانه . من حوله تحلق خمسة شبان يرتدون الكاكي . يجلسون بعيدا عن العجوز والرجـل الكبير والاولاد. قبل قليل كان ثمة اصوات رصاص ،انتهت كالحشرجات. جلسوا ينظفون اسلحتهم . لم يكن الظلام ليمنع عينيه من قراءة مـا يعتمل في صدورهم . فكر وهو يمسح السبطانة بهدوء : ترى متى ندخل من أجل العملية التالية !؟ ثم سمع صوت زميل له :

ـ اسمع يا رفيقي ، ينبغي ان نحصل غدا علـى اجازة ليوم او اثنين . لم نر الاهل منذ خمسة اشهر كاملة .

في لحظة كبر وجه متفضن امامه حتى ملأ الغابات كلها . اجتاز ، يقظا ، الصحراء الواسعة ودهش لما لم يجد الاسلاك الشائكة والحراس. هرع ، في فرح ، الى الصدر الضامر الهزيل يدفن رأسه فيـه . احس بنشوة عارمة حين شعر بأنامل امه المتخشبة تدفن في ثنايا شعر رأسه الاسود الطويل . لحظات من الهدوء ، ثم كبر الصدر واندفعت انهـار حليب في النهدين الضامرين . خيل اليه ان الحلمة التي قضمها وهو صغير مئات المرات تخز وجهه وتدفعه بعيدا . الروافد تصب في مكانين توأمين مكونة بحرين واسعين . فتح عينيه وقـد ركبته فرحة مباغتة : رائحة قديمة حلم بها تهب عليه ... رائحة ذلك التراب نطحم خياشيمه مجبولة بروائح الصمغ ممتزجة بعطر الصعتر والمرمية .

دمشق

نواف ابو الهيجاء

محمود أحمد السيد

رائد القصة الحديثة في العراق

تأليف

الدكتور علي جواد الطاهر

اول دراسة مسهبة عن رائـد القصة العراقية الحديثة الذي أثار اهتمام المستشرقين والباحثين بمـا انتجه من روايات وقصص مهدت الطريق لجميع كتاب القصة الحديثة في العراق

يصدر هذا الشهر